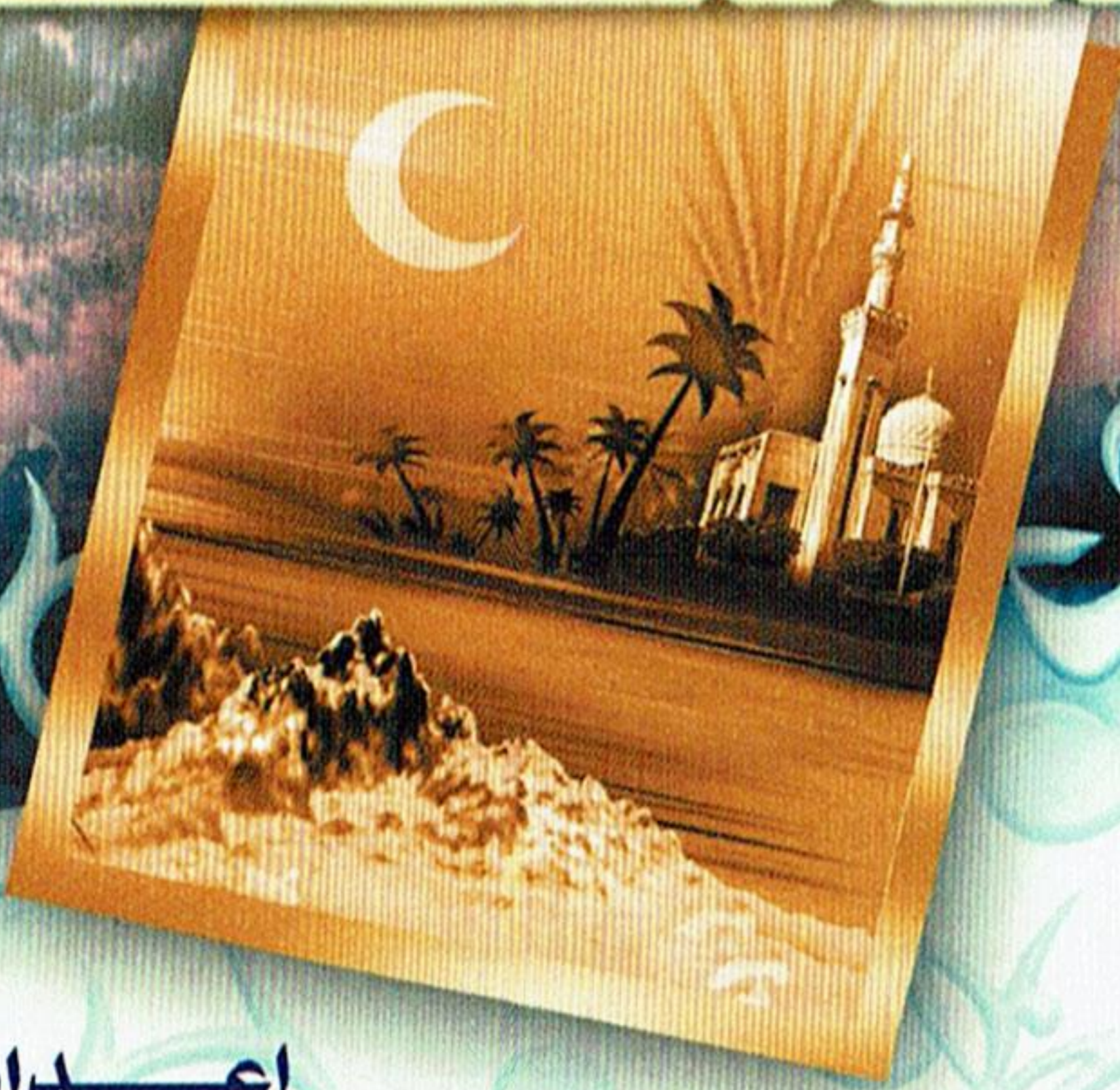


دار القاسم

قصص

مستكشف



إعداد

عمر عبد الرحمن السعدان

الرياض ص.ب ٦٣٧٣ الرمز ١١٤٤٢ هاتف: ٤٠٩٢٠٠٠ ف: ٤٠٣٣١٥٠
جدة ت: ٦٠٢٠٠٠٠ ف: ٦٣٣٣١٩١ بريد ت: ٣٢٦٢٨٨٨ ف: ٣٦٩٢٨٨٨
الدمام ت: ٨٤٣١٠٠٠ ف: ٨٤١٣٠١١ خميس مشيط ت: ٢٢٢٢٢٦١ ف: ٢٢٢٣٠٥٠
www.dar-algassem.com

في مساء ليلة شاتية . . . كنت مدعواً لوليمة عشاء . . .
بعدما انتهى رمضان بعدة أيام . . . كنا نتجاذب أطراف
الحديث . . . وتذكر تلك الليالي الروحانية .
كان أحدهم مطأطأ برأسه . . . وقد أنعقد انعقد
حاجباه . . . وكأنه يتذكر موقفاً في مخليته . . . هذا
يضحك . . . والآخر يتسم . . . والثالث والرابع . . .
ومن بين تلك الأصوات . . . انبثق صوت حاد . . .
خافت . . . جاد!؟

خشعت الأصوات . . . سكنت الضحكات . . .
من المتكلم؟ . . . الكل يلتفت عن يمينه ويساره . . .!
ارتفع ذلك الوجه المطأطئ . . . نظر الكل إليه . . .
العيون شاخصة . . . إنه محمد؟ وجه منعقد جبينه!
حزناً قد سكن فؤاده! أراد أن ينطق . . . التقط نفساً
عميقاً . . . وإذا به يلفظ أنفاسه . . . وكأنه يخرج الهم الذي
قد حشا فؤاده . . . والموقف الذي كاد يوقف قلبه . . .
كان سؤالاً بريئاً وكانت عبارات من رجل متواضع . . .
لكن!

خنقته العبارات . . . وجرحت قلبه تلك الكلمات . . .
لأن السؤال أذف في حينه . . . فكانت بحق تلك
الكلمات . . .

كلمات...

يقول محمد: كنت معتكفاً العشر الأواخر . . . وكنت
أضحك لهذا . . . وابتسم لذلك . . . وأحداث . . .
كنت ألاحظ رجلاً له لحية كثة بيضاء يختلس النظر إليّ
وإلى رفاقي في إحدى زوايا المسجد . . .
كان يوهماً عامل المسجد (الباكستاني) . . . إنه لا ينظر
إلينا . . . ولكنه يحاول أيضاً أن يسترق السمع . . . ماذا
نقول؟ ما سر تلك الضحكات؟ هل نحن معتكفون؟ كنت
أنظر إلى هذا العامل وأنا أحس بهذه الأسئلة تصول وتجول
في عقله وخاطره . . .

وفي آخر الأيام العشر . . . تأكد العامل أننا معتكفون . . .
كنت أضحك مع أحد المعتكفين . . . فإذا بجسد يفاجئني!
وقف بجانبني . . . أثني ركبته . . . جلس . . . نظرت!

حدقت النظر؟ إنه صاحب اللحية البيضاء عامل المسجد
(الباكستاني) . . .

ابتسمت في وجهه . . . أهلاً . . . حياك الله . . . !
رد بابتسامة . . . لكن ليس كابتسامتي . . . ابتسامة
استغراب . . . وابتسامة دهشة . . . لا أصفها إلا بابتسامة يريد
بها أن يسأل . . . نطق بكلمات مكسرة . . .
أريد أن أسأل؟

قلت: تفضل . . .

قال: (يريد التأكد) هل أنتم معتكفون؟

ربط العجب لساني . . . واستعجم بياني . . . نعم!
الدهشة أراها في وجهه . . . حاجباه ارتفعا . . . كأنه
صفع، قال وأنفاسه تضطرب: نحن في باكستان . . . إذا
اعتكفنا لا نكثر محادثة الخلق . . . نضع ستاراً لنا في إحدى
زوايا المسجد . . . ونتعبد خلفه كما يفعل الرسول ﷺ . . .
ولا ندخل في أجوافنا إلا ما نمسك به أرواحنا . . . كما
يفعل الرسول ﷺ أيضاً . . .

نتعبد . . . نبكي . . . ندعو . . . نترنم بالقرآن . . .

ثم أكمل حديثه بعد ما ألتقط أنفاسه . . .

وأنتم . . . قاطعته بابتسامة . . . وريقي قد جف . . .

الأطراف ترتجف . . . ثم قلت في نفسي: أنه يوبخنا

بطريقة غير مباشرة . . . يطرق بتلك الكلمات أسماعنا . . .

بغلظة! . . . يعنف!

لعلنا نفهم . . . واللييب بالإشارة يفهم . . . طأطأ

برأسه . . . لحيته الكثة التصقت ب صدره . . . إذا به يحدق

النظر إلى الأرض . . . يفكر . . . عيناں احمرتا واتسعنا!

أوداجه انتفخت . . . أخذ يعرض على شفثيه . . . يفرك

نواجذه ببعضها . . . التقط أنفاسه . . . وكأنه يريد أن يطفئ

النار التي تأججت في صدره . . .

ارتفع النظر الشاخص . . . بهدوء . . . التقى سوادي

بسواده . . . زاد حدة النظر . . . عيناہ تتطاير منها الشرر!

قال بهدوء . . . بصوت خافت وبنبرة حزينة . . . هل

هكذا مذهبكم؟ (يعني في مخالفة سنة الاعتكاف) . . .

اضطربت أنفاسي، أردت أن أنطق . . . إذا بي لا

أستطيع . . . ثم قلت بصوت عال: لا . . . لا نحن

المسيئون . . . نحن . . . نحن . . .

نعم . . . لماذا لا يعذر هذا الرجل وهو يتكلم بهذه
الكلمات يرى بدل الدمعات . . . الضحكات . . .
يرى بدل الصلوات . . . الابتسامات . . .

يرى بدل الترتيل بالقرآن . . . المحادثات . . . يرى
خلاف . . . الخشوع . . . الخشوع . . . الدموع . . .

أقول لكل معتكف ﴿ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ﴾ [مريم: ١٢].
انظر إلى النجوم إذا تقاست:

قام أبو مسلم الخولاني ليلة فتعبت قدماه فضربهما
بالسوط وقال: أئظن أصحاب رسول الله ﷺ أن يسبقونا
عليه؟ والله لنزاحم عليه حتى يعلموا أنهم خلفوا رجالاتي.

* «قام سفيان الثوري ليلة، فمن شدة قيامه وقعت
قدميه على الحائط لينزل الدم إلى رأسه . . .».

* «كان إبراهيم النخعي يختم في العشر كل ليلة وفي
بقية الشهر في ثلاث . . .».

* «كان قتادة في غير رمضان يختم القرآن في كل سبع
ليال مرة، فإذا جاء رمضان ختم في كل ثلاث ليال مرة فإذا
جاء العشر ختم في كل ليلة مرة . . .».

* «وكان الشافعي يختم القرآن ستين مرة في
رمضان».

* «وكان الإمام الزهري إذا دخل رمضان يفر من
الحديث ومجالسة أهل العلم ويقبل على تلاوة القرآن من
المصحف».

* «كان عثمان بن عفان يختم القرآن كل يوم».

رسالة إلى من اعتكف (هامة):

* أعلم أنك لم تفارق أعز مخلوقين إلى لأجل أن
تذهب لمن هو أعز وأغلى منهما.

* أعلم أنه لن يبلغ رمضان القادم إلا الأحياء فقط!
وقد لا تكون منهم فأحسن عملك . . . واستعد للقاء
ربك . . . فقد يكون هذا هو الموسم الأخير لك . . .

* أعلم أن تحت أطباق الثرى . . . أناساً يتذكرون وأنى
لهم الذكرى . . . كل واحد منهم يقول: يا لنتي قدمت
لحياتي . . . فكم ضيعوا من رمضانات . . . وهم سيكون
الآن بدل الدمع دماً فاحذر أن تكون منهم.

* اعلم أن في المستشفيات من قد ألقى على سرير أيضاً... قد ابتلاه الله بالأمراض والأسقام ودموعهم تسيل حسرة لعدم مشاركة إخوانهم في هذا الموسم، فاحمد الله إذ عافاك وابتلى غيرك.

* اعلم أن الرسول ﷺ دعا على من بلغ رمضان ثم خرج ولم يغفر له فاحذر أن تكون منهم...
* اعلم أن اعتكافك لا يقارن لا بربع ولا عشر السنة...
إذا أنت مقارن (١٠) أيام بثلاثمائة وستين يوماً لا شيء فاحمل وجدّ في هذه الليالي.

* اعلم أنه لولا حب الله إياك لما جعلك من المعتكفين وغيرك عاكف على ما يغضب الجليل من الحرام والآثام.

* اعلم أن الحسرة والألم والحزن ستملاً قلبك يوم الحسرة إذا فاتت ليلة الألف شهر...
* اعلم أن قلبك لن يعتصره الحزن إلا إذا قيل غداً العيد وأنت لم تعمل...
* اعلم معنى وحقيقة الاعتكاف:

(قطع العلائق عن الخلائق للاتصال بخدمة الخالق).
كيف تعلم أن رمضان قبل منك؟

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ تأمل الحكمة: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ نعم... ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

فهذا هو سر قبول شهر رمضان... بل هو الحكمة الأساسية في مشروعية رمضان...
بشرى... إلى من زاد تقواه... وزاد خوفه من مولاه...
بشرى... إلى من كان يدخن... وترك التدخين لله.

بشرى... إلى من كان عاكفاً على الغناء... وترك الغناء لله.

بشرى... إلى من كان عاكفاً على النظر للأفلام... وتركها لله...
بشرى... لمن هجر القرآن ثم عاد له ولم يفلته...
بشرى... لمن رطب لسانه بذكر الله واستمر...

بشرى... لمن طبق معنى التقوى...
فالتقوى: هي الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل
والقناعة بالقليل والاستعداد ليوم الرحيل...
بشرى لمن استمر في تقواه... ولم يخف حتى من
الموت متى أتاه...
فمن زاد تقواه فهذا بشراه...

كان مهجة قلبي:
كان محمد ﷺ: «يجتهد في العشر ما لا يجتهد في
غيره».

كان محمد ﷺ: «إذا دخلت في العشر ما لا يجتهد
في غيره».

كان محمد ﷺ: «إذا دخلت العشر أحيى الليل وأيقظ
أهله ليحيوه معه».

كان محمد ﷺ كما تقول عائشة - رضي الله عنها -:
«إذا دخلت العشر الأواخر: «جد» «وشد المئذر» لماذا؟».

يقول ابن رجب - رحمه الله -: «إنما كان يعتكف
النبي ﷺ في هذه العشر التي يطلب فيها ليلة القدر قطعاً
لأشغاله وتفريغاً لليلية وتخلياً لمناجاة ربه وذكره ودعائه
وكان يحتجر حصيراً يتخلى فيها عن الناس فلا يخالطهم
ولا يشتغل بهم».

أتري يا معتكف؟ إلى من اعتكف...
أتريد ليلة القدر...؟ أفلا تريد أجر ثلاثة وثمانين
عاماً... أفلا تريد؟

أفلا تريد ليلة تنزل فيها الملائكة... أفلا تريد ليلة يغفر
لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟
أتريد أن تحرم الخير كله... أتريد الحرمان
والخسران...

اسأل الله أن يجعلني وإياك من المقبولين، وأن يبارك لنا
في أعمالنا وأن يغفر لنا زللنا وخطئنا إنه سميع مجيب.

برنامج القراءة بالمراسلة برنامج يتيح لكل قارئ ولدة عام كامل متابعة آخر
إصدارات دار القاسم عبر البريد أو الإيصال إلى المنزل ليكون في متناول يد المشترك
كل شهر (٤ كتيب - ٤ كتيبات جيب - ٤ مطويات) وخلال (٢١ شهراً) يصل إليه ٤٨
كتاباً - ٤٨ كتيب جيب - ٤٨ مطوية قيمة الاشتراك السنوي (١٧٥) ريال.

حقوق الطبع والنشر محفوظة

مطابع دار القاسم ت: ٢٧٠٩٥٥٥ ف: ٢٧٠٧٧٠٨

تجدون المزيد على موقع المخطوطات الإسلامية : www.matwiat.com